مقاصد السور و أثر ذلك في فهم التفسير

الشيخ صالح آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيراً.والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً حمداً دائماً ما تتابع الليل والنهار كلما حمد الله جلا وعلا الحامدون وكلما غفل عن حمده سبحانه الغافلون . وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين ... أما بعد :

فأسال ربي جل جلاله . وهو المجيب لمن أسأل والمعطي لمن أقبل أن يجعلني وإياكم ممن بارك قولهم وعملهم وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأن يلزمنا كلمة التقوى في الحياة والممات إنه سبحانه جواد كريم . كما أسأل ربي جل وعلا أن ينفعني وإياكم بما نسمع أو نقرأ من العلم ، ،أن يجعله حجة لنا لا حجة علينا . وأن يقيمنا على دينه ما أبقانا .

ثم أن من أنواع البركة التي يفيض الله جل وعلا على خاصة عبادة أن يمن عليهم بمحبة العلم ومحبة تدارسه والإقبال على ذلك . وحقيقة العلم هو العلم بكتاب الله جل وعلا وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إذ لا أرفع في الكلام ولا أعظم قدراً من كلام ربنا جل جلاله ولا أعظم ولا أرفع بعده من كلام نبينا صلى الله عليه وسلم . فالموفق و المبارك من علم وعلم واجتهد في ذلك حتى يصيب مما كتب الله له . واعملوا فكل ميسر لما خلق له . ولهذا وصف الله جلا وعلا كتابه بأنه مبارك . وجعل من أصناف بركته التي أنزلها سبحانه وتعالى أن أنزل هذا الفرقان . كما قال سبحانه ((تبارك الذي نزل الفرقان

على عبده ليكون للعالمين نذيراً)) وكما قال جل وعلا ((كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)) وقال أيضاً جل جلاله ((وهذا كتاب مبارك أنزلناه)) ونحو ذلك من الآيات . التي فيها وصف القرآن بأنه مبارك . يعني كثير الخير لمن أقبل عليه ففيه شفاء الصدور وفيه شفاء القلوب . وفيه الهداية وفيه التوفيق لمن أراد الله جل وعلا أن يوفقه وفي الآية التي ذكرنا وصف الله جل وعلا كتابه بأنه مبارك . وأنه أنزله لأمرين : فقال سبحانه في سورة (ص) ((كتاب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب)) واللام هنا هي لام كي . يعني أن العلة من إنزال القرآن وجعله مباركاً . أن يتدبر العباد هذا القرآن أن يتدبروا آياته . ثم لكي يتذكر أولو الألباب . وهذا فيه عظم شأن تدبر القرآن . وعظم شأن التذكر حين التلاوة . وهذا إنما يكون بالتدبر . فلا تذكر إلا بتدبر القرآن . ولكن خص الله جل وعلا في التذكر خص أولي الألباب . فقال ((وليتذكر أولوا الألباب)) وفي الحقيقة أن الذي يتذكر بعد التدبر . ويقبل على القرآن هو العاقل . وهو ذو اللب الذي بلغ الغاية في ذلك . وقد سئل أحد سادات التابعين في الكوفة فقيل له : أظنه إبراهيم النخعي فقيل له . من أعقل الناس ؟ فقال : فلاناً . فقال أعقل الناس فلان الزاهد . فذهبوا لينظروا من عقله ولينظروا من أمره فما وجدوه إلا مقبلاً على القرآن وعلى أمر آخرته . فعلم أن قصد إبراهيم أن أعقل الناس هو من أقبل على أشرف الكلام وأقبل على أشرف مقصود وهو الدار الآخرة ((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين فحض الله جل وعلا في هذه الآية عل تدبر القرآن . وموضوع هذه المحاضرة : أثر من آثار تدبر القرآن عند أهل

العلم . لأن الموضوع الذي سنتناوله يبحث في علم مقاصد سور القرآن وأثر هذا العلم بالمقاصد في فهم التفسير . ومعلوم أن التفسير إنما هو يتدبر القرآن . فالذي يعلم التفسير لا شك أنه قد تدبر قبل ذلك فعلم إذا كان عنده أهلية بالعلوم التي ينبغي توفرها في المفسر والناس بعد ذلك نقله . أو يتلقون ما قاله المفسرون فلما حض الله جل وعلا على تدبر القرآن ، وجب حينئذ أن يقبل العباد بعامة وأن يقبل العلماء بخاصة على هذا القرآن ليخرجوا كنوزه . لأن القرآن حجة الله الباقية إلى قيام الساعة ويخرج منه بقدر العلوم وبقدر ما فتح الله على عبده . يخرج منه من الفهوم ومن العلم ما هو تفصيل وبيان لبعض كلمات المتقدمين من الصحابة والتابعين مما قد لا يدركها كل أحد . وهذه الجملة يأتي تفصيلها إنشاء الله تعالى .

فإذا علم التفسير من العلوم المهمة وها أنتم تستقبلون دورة علمية أو دروس علمية في هذا المسجد المبارك في علوم شتى من علم التوحيد والحديث والمصطلح ونحو ذلك مما هو معلوم . وعلم التفسير أيضاً أنتم بحاجة إليه لأن القرآن هو أعظم ما يقبل عليه فإذا علمت القرآن علمت الشريعة ولهذا قال طائفة من العلماء المفسر يحتاج إلى علوم كثيرة . منها علم اللغة لأن القرآن أنزل بلسان عربي مبين ((حم والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ((واللغة أقسام منها : النحو ومنها علم المفردات . ومنها البلاغة بأقسامها الثلاثة ومنها الاشتقاق إلى آخر علوم اللغة . ثم علم التوحيد الذي هو الأساس . فالقرآن كله في توحيد الله جل وعلا .من أوله إلى آخره كله في التوحيد . وذلك أن القرآن أما أن يكون ما فيه خبراً عن الله جلا وعلا وعن صفاته سبحانه وتعالى . وعما يستحقه جل

وعلا من توحيده بالعبادة . والبراءة من الشرك وأهله ونحو ذلك فهذا واضح في أنه في توحيد الله جل وعلا وأما أن كان يكون ما فيه خبراً عن أنبياء الله جل وعلا عن رسله . وعن قصصهم فهذا خبر عن أهل التوحيد وما جعل الله جل وعلا لهم . حعل لهم في الدنيا من الأحوال والعاقبة . ((ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)) وإما أن يكون وهو القسم الثالث :

أن يكون أمراً ونهياً . أمر بأداء الفرائض . ونهي عن ارتكاب المحرمات وهذا في حقوق التوحيد . ومكملاته . لأن من وحد الله جل وعلا أطاع الله في أمره وانتهى عن نهيه . وتخلص من داعي شهوته وهواه والأمر الرابع :

خبر عن الأمور الغيبية وما يحصل بعد الممات من النعيم والعذاب ومن الجنة والنار . ومن الحبور والسرور لطائفة ومن العذاب والنكال لطائفة . فهذا جزاء الموحدين . وهذا جزاء المشركين وهذا المعنى العام من العلوم المهمة للمفسر . لأن سور القرآن لا تخرج من هذه الأحوال الأربعة فكل سورة أما أن تتناول هذه الأقسام الأربعة . وأما أن يكون فيه . يعني في السورة بعض من هذه الأقسام .

والعلم الثالث :

العلم بالسنة لأن السنة مفسرة للقرآن ومبينة له .

والعلم الرابع :

العلم بالفقه وأحكام الحلال والحرام . والعبادات والمعاملات لأن القرآن فيه آيات كثيرة في هذا الباب . والعلم الذي يليه علم الجزاء يوم القيامة . وأحوال الناس فيه . وهذا في القرآن منه الشيء الكثير . ثم

مقاصد السور و أثر ذلك في فهم التفسير

الشيخ صالح آل الشيخ

علم أصول الفقه والعلوم المساعدة أصول الفقه : لأن بها فهم كثير من آيات الله البينات . إذا تبين لك هذا . فإن المفسر الذي تكونت عنده حصيلة راسخة من هذه العلوم يمكنه أن يتدبر القرآن . وأن يكون مستخرجاً لما فيه من الدلالات والعبر وموضوعات السور ومقاصد السور كما سيأتي بيانه مقتفياً في ذلك بما فسر به الصحابة والتابعون كتاب الله جل وعلا .

لهذا فإن موضوع هذه المحاضرة هو موضوع في التفسير والتفسير أبوابه كثيرة ومختلفة . ولكن قلت العناية في هذا الزمن بالتفسير لأن كثيرين يظنون أنهم يعلمون كلام الله جل وعلا . ولا شك أن الذي يعلم كلام الله جل وعلا ويعلم معانيه . ويدرك مراميه وإعجازه وبلاغته وما فيه . فإنه سيكون ملتذاً بهذا القرآن . مقبلاً عليه يجل قلبه وينشرح صدره حين يقبل على هذا القرآن إذا فالوصية في مقدمة هذه الدروس العلمية أن يهتم الجميع بالقرآن حفظاً وتلاوة . ثم الاهتمام بتدبر القرآن وتفسيره . عبر كتب التفسير المعتمدة . وخاصة كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم والمأمونين من أئمة أهل العلم والدين والتفسير .

الموضوع مقاصد سمعت مقاصد السور . العلم بمقاصد السور لم ينص عليه الأوائل وإنما اعتبره الصحابة والتابعون بالاستقراء . اعتبروه في تفسيرهم . ولكن لم ينص على هذا العلم بهذا الاسم إلا عند المتأخرين وذلك . شأن جميع العلوم فإن العلوم كانت ممارسة عند السلف ، لكن لم تكن التسمية موجودة فعلم النحو كان ممارسا ولم يكن موجوداً . البلاغة كانت ممارسة ولم تكن موجودة . علم أصول الفقه كان ممارساً . استنباط الأحكام من القواعد . الأصولية . ولم يكن موجوداً بهذا الاسم . وهكذا في علوم القرآن في أنحاء

شتى . ومصطلح الحديث وعلوم أخرى . فما القصود بعلم مقاصد السور . معلوم أن الله جل جلاله هو الذي تكلم بهذا القرآن . وأن القرآن كلامه . وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنة ((فالقرآن كلام الرب جل جلاله . ومقاصد السور يعنى بها عند أهل هذا العلم . الموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما . يعني أن سورة من السور التي في القرآن أو أن معظم السور أو كل السور . لها موضوع ومقصد تدور عليه الآيات والمعاني التي في هذه السورة . إذا علم هذا المقصد . يعني هذا الغرض . هذا الموضوع فإن فهم التفسير سيكون سهلاً بل سيفهم المرء كلام الأولين سيفهم كلام المحققين . بأكثرها إذا أخذ الآيات . مجردة عن موضوع السورة كما سيأتي في مثال نستعرضه إن شاء الله تعالى وأصلاً في بحث مقاصد السور . لم يكن بحثه في تاريخ العلم مبكراً وإنما بحث قبل بحث يسمى المناسبات . والعلماء اختلفوا في موضوع المناسبات . ويعنون بها مناسبات الآي هل الآية هذه جاءت بعد الآية لمناسبة . هل بين الآية الأولى والثانية رابط ؟ والثانية والثالثة بينها مناسبة ؟ هل هذه الآيات في نظامها . بينها وبين موضوع السورة اتصال ؟

هذا يبحث في علم التفسير ويبحث في إعجاز القرآن لهذا عد طائفة من العلماء أن من وجوه إعجاز القرآن وهو المترل آية وبرهان ومعجز للخلق أجمعين أن من وجوه الإعجاز أن يكون للسورة موضوع تدور عليه وأن يكون بين الآيات ترابط هذه الآية بعد تلك هذه القصة بعد تلك لغرض معلوم . لهذا قل من يطرق هذا الموضوع من المفسرين أو من العلماء ولعدم كثرة طرقه أسباب منها :

أولاً : أن فيه نوعاً من الجرءة . على كتاب الله جل وعلا .و لهذا ذهب طائفة من العلماء إلى أن السور ليس لها موضوعات وإلى أن الآيات لا تناسب بينها . وهذا قال به قليلون وغلطوا في ذلك فموضوع السورة يحتاج إلى قراءة السورة عدة مرات وتدبر ذلك ومعرفة كلام العلماء في التفسير حتى نفهم هذه السورة ما لموضوع الذي تدور عليه .

السبب الثاني : أن كثيرين من أهل العلم لم يتناولوا التفسير ألا عبر مدرسة تفسير الآيات . ومدرسة تفسير الآيات منقسمة إلى مدرستين مدرسة التفسير بالأثر ومدرسة التفسير بالاجتهاد وكلها راجعة إلى تفسير الآية وتفسير الكلمات في الآيات .

أما الربط بين الآيات فلم يكن من مدارس التفسير المعروفة ولذلك ما صار له ذكر ولا قوة عند أهل العلم بالتفسير .

والسبب الثالث : في عدم اشتهار هذا الموضوع أن من تجرأ وكتب من أهل العلم . وقال: إن للسور . إن للآيات تناسب إن للآيات تناسباً وإن للسور موضوعات . رد عليه طائفة من العلماء وغلطوه بل رموه إلى القول على الله جل وعلا بلا علم فهاب كثيرون أن يدخلوا . هذا المضمار لأجل براءة الذمة ولأجل أن لا يحملوا أنفسهم ما لا يطيقون . وهذا مقصد صالح ولغير ذلك من الأسباب . ولهذا نقول العلماء في موضوع ترتيب الآيات . والتناسق بين الآيات . وأن هذه الآية بعد هذه الآية لغرض . وأن هذه القصة بعد هذه القصة لغرض وأن السورة لها موضوع ومقصد . اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال :

أما القول الأول :

فهو أنه لا تناسب بين الآيات . بل تنزل الآية بحسب الوقائع وتوضع في المصحف بحسب ما يأمر الله جل وعلا جبريل به فيأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن الآية ضعها في سورة كذا في موضع كذا . وأن هذا بحسب الوقائع حسب الأحوال ولا يقتضي ذلك تناسباً بين الآية والآية .وصلة بين الآية والآية وصلة بين الآية والآية .

والقول الثاني :أن سور القرآن لا تخلو سورة إلا ولها موضوع وليس ثم آية بعد آية إلا وبينها تناسب . وصلة وانه بين أول السورة وبين ختام السورة تناسب وأنه بين آخر السورة وأول السورة التي تليها تناسب واتساق في الموضوع وأنه إلى آخر الأسرار واللطائف في علم التفسير . مما جعلوا ذلك لا يخرج عنه شيء البتة وهذا قول قليلين من أهل العلم . منهم البقاعي . فيما صنف في نظم الدرر . والسيوطي وجماعة ممن قبلهم وبعدهم .

القول الثالث : وهو القول الوسط وهو أعدل الأقوال . أن سور القرآن . منها سور يظهر للمجتهد يظهر للعالم بالتفسير يظهر له له موضوعها ويظهر بين آياتها من التناسب . فهذا إذا ظهر فلا حرج في إبدائه لأن الله جل وعلا جعل القرآن محكماً . ((الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)) فالقرآن كتاب لو بحثت فيه عن خلل لو بحثت فيه عن عدم اتساق لن تجد ((أفلا يتدبرون القرآن . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)) فإذا ظهرت المناسبة وظهر الموضوع . فلا مانع أن يقال هذه السورة موضوعها كذا . وهذه الآية بينها وبين ما قبلها المناسبة الفلانية بحسب ما يظهر للعالم بالتفسير وللمجتهد . دون أن يكون الهم تطلب ذلك والتكلف فيه . لأن التكلف في الشيء قد يفضي إلى القول في المسألة بلا علم .

والاجتهاد فيما لا طائل منه . وقد يكون الاختلاف فيه كثيراً وهذا القول الثالث . هو القول المعتدل . الذي سلكه طائفة من العلماء بالتفسير . والعلماء بالاجتهاد ومنهم ابن تيمية رحمه الله وابن القيم . وجماعة من المحققين في التفسير . ويظهر لك صوابه فيما إذا نظرت إلى الكتب المؤلفة في مقاصد السور . وتناسب الآيات والسور ونحو ذلك فإن فيها أشياء متكلفة وفيها أشياء يتضح حسنها بل إذا نظرت إليها وتدبرت ما قيل من المناسبات والاتصال موضوعات السور زادك يقيناً بأن هذا القرآن إنما هو كلام الله جل وعلا وإذا قرأت السورة أحسست بتاثير فيها ليس كتأثير من لم يعلم موضوع السورة ولا تناسب الآيات فيما يذكر لهذا نقول إن هذه الأقوال الثلاثة المختار منها الثالث وهو الذي يهم أن تعتني به من كلام أهل العلم . لأن فيه الفائدة المرجوة إنشاء الله تعالى . المصنفات في هذا الباب كثيرة حتى زعم ابن العربي المالكي وهو من أهل الأندلس . قد اتصل بالمشرق في فترة من عمره . زعم أنه كتب كتاباً . يعني زعم بمعنى قال : لأن زعم لا تعني التكذيب زعم في اللغة بمعنى القول كما في الحديث الصحيح ((أتانا رسولك يزعم أنك تزعم أن الله أرسلك)) فقال العلماء أن الزعم يستعمل بمعنى القول المقصود من هذا أن ابن العربي المالكي صاحب أحكام القرآن وعارضه الأحوذي . وشرح الموطأ وكتب كثيرة معروفة . زعم أنه كتب كتاباً في مقاصد السور وتناسب الآيات والسور وعرضه على الناس في زمانه . قال ((فرأيت الناس بطلة لم يقبلوا عليه ولم يهتموا له مع عظيم علمه وشرف معلومه . قال فلما رأيت ذلك الإعراض منهم أحرقته وجعلته بيني وبين الله جل وعلا . وكتب أيضاً . الرازي في تفسيره بعض المناسبات وإلى أن وصل الأمر إلى الزركشي

فعرض في كتابه علوم القرآن . اللي هو مسمى بالبرهان كتب فيه أبواباً جيدة في التناسب والمقاصد . وهي قصيرة لكنها فيها تأصيل لهذه المسألة . ثم جمع ذلك مع تأمل البقاعي في كتابه الكبير في التفسير الذي أسماه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وهو مطبوع في الهند. كتاب كبير في نحو اثنين وعشرين مجلداً . وإلتزم فيه بأن يذكر مقصد السورة وأن يذكر التناسب بين كل آية والتي قبلها والتي بعدها . والتناسب بين آخر السورة وقبلها إلى آخر ما ذكره مما جعله متكلفاً في كثير من المواضع . حتى قال عن نفسه أنه ربما مكث شهراً في تأمل آية بعد آية ما لمناسبة بينها . وعلماء عصره منهم من رد عليه لهذا التكلف الذي تكلفه في كتابه . ثم السيوطي كتب أيضاً عدة كتب في ذلك . وذكر في كتابه إعجاز القرآن اللي هو باسم معترك الأقران في إعجاز القرآن . ذكر من وجوه الإعجاز العلم بالمقاصد تناسب الآيات والسور إلى آخر ذلك . فإذا هذا العلم مبحوث عند علماء التفسير والذين كتبوا في علوم القرآن . ولكن ما بين مجيد فيه وما بين مقصر في ذلك . وإذا تأملت هذا الموضوع . وجدت أن كثيرين من المفسرين يقولون هذه السورة فيها الموضوع الفلاني . مثل ما قال شيخ الاسلام بن تيمية مثلاً في سورة المائدة . بأن هذه السورة كلها مختصة بعلم الأحكام . الحلال والحرام والعقود بخاصة حتى قصص الأنبياء التي فيها لها صلة بالأحكام . وحتى قصة ابني آدم لها صلة بهذا الموضوع . سورة الفاتحة سميت أم القرآن . لأن مقاصد القرآن التي فيه هي في سورة الفاتحة . وهكذا . فإذا من أهل العلم من نص على الموضوع والمقصد . ومنهم من عرض له بدون التنصيص عرض له عمليا .

مقاصد السور و أثر ذلك في فهم التفسير

الشيخ صالح آل الشيخ

كيف يمكن أن يفهم المتدبر أو المفسر الموضوع يعني إذا أراد أن ينظر كيف يعرف موضوع الوسائل التي بها يعرف موضوع السورة . نذكر من ذلك بعض الأمور.

أولاً : أن ينص العلماء أو طائفة من العلماء المحققين على أن هذه السورة في الموضوع الفلاني .مثلاً سورة الإخلاص في توحيد الأسماء والصفات .أوفي التوحيد العلمي الخبري .((قل يا أيها الكافرون)) سورة الكافرون في التوحيد الطلبي ، توحيد العبادة .سورة الفاتحة في بيان محامد الرب جل وعلا .سورة النحل في النعم . سورة الكهف في الابتلاء . سورة العنكبوت في الفتنة . سورة البقرة في بيان الكليات الخمس والضروريات التي تدور عليها أحكام الشريعة وبيان عدو من أعداء الإسلام وهم اليهود سورة آل عمران في تكميل ذلك مع بيان عدو جديد وهم النصارى والحوار معهم . ثم مجاهدة المشركين سورة النساء في بيان أحكام النساء والمواريث وخصص ذلك بالنساء لأجل هضم الجاهلية لحقوق النساء ونحو ذلك ثم بيان أحكام العدو الثالث وهم المنافقون ثم سورة المائدة في بيان أحكام الحلال والحرام والعقود . إلى آخر ذلك مما هو تفصيل للأحكام الكلية الخمس وأحكام الشريعة التفصيلية وهكذا في أنحاء شتى وهذا ينص عليه طائفة من العلماء بأن هذه السورة في الموضوع الفلاني إذاً نعلم موضوع السورة بأن ينص على هذا الموضوع أو هذا المقصد للسورة بعض أهل العلم . فيقال هذه هي السورة في الموضوع الفلاني .

كذلك المناسبات بين الآي . بأن ينص بعض أهل العلم المتحققين الراسخين بأن هذه الآية جاءت بعد هذه الآية لأجل كذا لما بينهما من الارتباط . أو هذه السورة بعد هذه السورة لما بينهما من الارتباط وهكذا .
الوسيلة الثانية لمعرفة موضوع السورة والمقصد الذي تدور عليه السورة . المقصد نعني به الغاية . أو الموضوع الكلي الذي تدور . عليه السورة . أن يكون موضوع السورة ظاهرة من أولها ثم والمفسر يقرأ يظهر له أن كل السورة مبني على أولها . مثل مثلاً سورة القيامة ((لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة)) كل ما فيها ذكر لأحوال القيامة ثم أحوال الموت . وما يدل . أو وسائل الإيمان بيوم القيامة لهذا بحث هنا مثلا في سورة القيامة بحث عند من اعترض على موضوع السورة في قول الله جل وعلا ((لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)) قال طائفة من العلماء طائفة يعني واحد أو أكثر .قال طائفة من العلماء أن هذه الآيات لا صلة لها بموضوع القيامة ((لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه)) ما صلتها بموضوع القيامة في ما صلتها بموضوع الموت والعاقبة ... إلى أخره . ذكروا طبعاً الآخرون ذكروا مناسبة ذلك وبينوا مما هو ظاهر بين . كذلك مثلاً تأخذ سورة الواقعة مثلاً سورة الواقعة ((إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة)) سورة الواقعة صار موضعها حول تقسيم الناس يوم القيامة . ينقسمون إلى أقسام ثلاثة . السابق وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم بعد ذلك أدلة تتعلق بهذا الأصل . ثم حال الناس عند

النزع وأين تذهب أرواحهم . فتلحظ من السورة أن الموضوع بين في من أولها إلى آخرها . وهذا يتضح لك من أول السورة . فإذاً السبب الثاني أو الوسيلة الثانية لا ستخراج المقصد أن يكون موضوع السورة ظاهراً من أولها .

الوسيلة الثالثة : لإدراك ذلك . الاستقراء . الاستقراء للآي من عالم بالتفسير إما استقراء كاملاً . أو استقراء أغلبياً . وقد ذكر علماء الأصول أن الاستقراء الذي يحتج به على قسمين ١- الاستقراء الكامل ٢- أو الاستقراء الأغلبي لأنه حتى القواعد ما من قاعدة إلا ولها شواذ . فالاستقراء الأغلبي حجة كالاستقراء الكلي في الاحتجاج ولكن في القوة الاستقراء الكلي أعظم من الاستقراء الأغلب فإذا أستقرأ الآيات . واستخرج المفسر موضوعاً ولو لم يسبق إلى ذلك فإن هذه وسيلة ظاهرة من وسائل إدراك المعنى سيما إذا كان مصيباً فيه غير متكلف في ذلك . وهناك وسائل أخرى . إذا تبين لك ذلك فنأتي إلى ما قد ينشطكم أكثر بعد هذا العرض النظري العلمي المقعد بعض الشيء إلى ما ينشط أكثر في بيان مثال لمقصد السورة ثم النظر في الآيات التي تدور حول هذا المقصد . نأخذ مثالين .

الأول : سورة الفاتحة باختصار .

والثاني : سورة العنكبوت بنوع تطويل .

أما سورة الفاتحة فهي فاتحة الكتاب . وهي أم القرآن . وتسمى أيضاً سورة الحمد . إفتتحها الله جل وعلا بحمده . فقال ((الحمد لله رب العالمين)) وحمده جل علا هو الذي تدور عليه السورة . بل أول الخلق ابتدئ بالحمد وآخر ما ينتهي إليه الخلق إلى الحمد والناس في الأولى والأخرى بل الخلق كله . من الناس وغيرهم . من المكلفين وغير المكلفين يدورون بين الحمد . ((وله

الحمد في الأولى والأخرة)) سبحانه وتعالى . خلق السموات والأرض بالحمد ((الحمد لله الذي خلق السموات والأرض)) وحين ينتهي الجزاء ((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)) قيل : يعني قال الوجود . قالت الملائكة قالت الخلائق بعد أن دخل أهل الجنة الجنة . وأهل النار النار . واستقرت الأمور .فافتتح الله جل وعلا الكتاب بحمده . كما أنه حمد نفسه على إنزال القرآن قال ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً)) . فإذا كان كذلك فالحمد دارت الحياة عليه . والخلق عليه . وإنزال الرسل وإنزال الكتب وبعث الرسل عليه ، ولهذا صار الحمد هو أعظم ما يفتتح به الكتاب الخاتم . قال جل وعلا ((الحمد لله رب العالمين)) لهذا إذا تأملت القرآن وجدت أن الحمد يدور على خمسة معاني :

المعنى الأول : أن يحمد الله جل وعلا على ربوبيته .

والثاني : أن يحمد على ألوهيته .

الثالث : أن يحمد على أسمائه وصفاته .

الرابع : أن يحمد جل وعلا خلقه سبحانه وتعالى وإحداثه وإبداعه للكائنات .

والخامس والأخير . أن يحمد الله جل وعلا على شرعه وكتابه وما أنزل الناس الآن . يقول فلان يعني الحمد عندهم بمعنى ايش ؟

بمعنى الشكر . هل يدخل الحمد بمعنى الشكر في أحد هذه العناصر . في أحد هذه الأقسام لخمسة للحمد ؟ نعم وهو الحمد على خلق الله جل وعلا . للصغير والكبير . لأنه ما من نعمة تسدى إليك إلا والله جل وعلا هو الذي خلقها . فيحمد على ما أسدى وعلى ما أرسل .إذا سورة الفاتحة تدور في

موضوعها على أركان حمد الله جل وعلا . والقرآن كله لو استوعب . فإنه يدور من أوله إلى آخره على أنواع حمد الله جل وعلا . فإما أن تكون الآية أو السورة في حمده سبحانه على ربوبيته . أو على ألوهيته . أوعلى أسمائه وصفاته أو على شرعه وكتابه وما أنزل . أو على خلقه وقدره سبحانه وتعالى . ما معنى الحمد ؟ قال العلماء : الحمد هو إثبات أنواع الكمالات للمحمود إثبات أنواع الكمال للمحمود . بحيث إنه فيما أثبت له من الكمال لا نقص له فيه بوجه من الوجوه . والله جل وعلا هو المثبت له أوجه الكمال في ربوبيته . وأوجه الكمال في إلاهيتة . وهو المثنى عليه بأوجه الكمال في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وفي شرعة تنزيله وكتابه وفي قدره سبحانه وتعالى وفي خلقه إذا كان كذلك قال العلماء : الحمد لله رب العالمين معناه أن أنواع الحمد لأن الألف واللام هنا للاستغراق . الألف واللام تأتي لثلاثة أنواع في التفسير. الألف واللام للتعريف ، للاستغراق . للملك وللاختصاص . الأول للتعريف يشملها إنك أن تقول للاستغراق للملك للاختصاص . متى تكون الألف واللام للاستغراق ؟ إذا كانت يصح أن تضع مكانها كل . الحمد لله إذا قلت كل حمد لله رب العالمين . صح أو لم يصح

صح . فإذا هي للاستغراق فإذا هنا نقول : الحمد لله رب العالمين هذه مستغرقة لجميع أنواع المحامد لله جل وعلا . أنواع المحامد أي الخمسة التي ذكرنا . لله اللام هنا الثانية هذه لإيش ؟ لام للاستحقاق . يعني كل حمد لله جل وعلا فهو مستحق له سبحانه وتعالى . طبعاً أل . اللي في الحمد هذه أل للتعريف . واللام هذه لام حرف جر . هي التي تأتي للملك ولتمام الملك وللاختصاص إلى آخره ، تأتي إلى ((الرحمن الرحيم)) أولاً ((رب العالمين))

هذا رجوع إلى أي شيء ؟ إلى الربوبية وقد ذكرنا لك أن من اركان الحمد يعني ما يثني الله . ما يثني على الله به الربوبية . فقال ((الحمد لله رب العالمين)) ثم ((الرحمن الرحيم)) هذا فيه الصفات . ((مالك يوم الدين)) فيه الصفات وفيه الشرع والكتاب وفيه أيضاً الخلق والأمر ((إياك نعبد)) فيه الألوهية ((إياك نستعين)) فيه الربوبية . وفيه أيضاً القدر . لأنك تستعين بمن يعين بما يحدث في ملكوته ((إياك نعبد وإياك نستعين)) ((إهدنا الصراط المستقيم)) النعم الدينية هي الهداية إلى الصراط المستقيم . فهو المحمود على كل نوع من أنواع الهداية للصراط المستقيم . ثم وصف قال ((صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) وهذا نوع من أنواع النعم التي يحمد عليها . وهي راجحة إلى أحد أركان الحمد . ثم أيضاً يفصل في ذلك . في الموضوع بأشياء من نظر آخر في أنواع المحامد وأنواع الصفات وأنواع العبودية أنواع الاستعانة . إلى آخر ما هنالك . هذا عرض موجز لما في هذه السورة مما يدور حولها مما ذكره بعض العلماء .

المثال الثاني : سورة العنكبوت . سورة العنكبوت سماها بعضهم أو قال بعضهم إنها تدور حول الفتنة . الفتنة ظاهرة في أول السورة قال جل وعلا ((آلم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)) فالفتنة ذكرت نصاً في أول السورة . الفتنة تكون بأي شيء . المرء يفتن بعقله . يفتن بالدنيا . يفتن بوالديه يفتن بأهله . يفتن بطول المكث وطول العمر . يفتن بعدم وجود العذاب . يفتن إذاً عن أدراك الحقيقة بأنواع من الفتن كلها موجودة في هذه السورة . فإذا في هذه السورة سورة العنكبوت ذكر الله جل وعلا أنواع

وأصول الفتن . وذكر كيف ينجو المرء من هذه الفتنة . لأن الحقيقة أن الحياة إنما هي ابتلاء وفتنة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عياض بن حمار الذي رواه مسلم في الصحيح قال عليه الصلاة والسلام ((قال الله تعالى يا محمد إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)) فحقيقة الحياة أنها فتنة . والفتنة هل هي بالشر وبالخير . هي بالشر و الخير معاً . ((ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون)) إذا هذه السورة ذكر الله جل وعلا في أولها ((أحسب الناس)) الناس يشمل من ؟ يشمل المؤمن ويشمل الكافر . يشمل الكبير ويشمل الصغير . يشمل جميع الطبقات في تعاملها مع الجميع ((أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)) تقول مؤمن فمتى يصدق الإيمان ؟ إذا عرضت لك الفتنة فنجوت منها بشرع الله جلا وعلا . فقد تفتتن بنفسك . في أناس يفتتن بجماله . يفتتن بحسنه . إمرأة تفتتن بما عندها . رجل يفتتن بماله . أحد يفتتن بوالديه . لذلك تجد أن في هذه السورة تجد أن في هذه السورة ذكراً لجميع أنواع وأصول . الفتن والجواب على ذلك . خذ مثلاً في أولها . قال الله جل وعلا ((ووصينا الإنسان بوالديه حسنا. وإن جاهداك لتشترك به ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، إلي مرجعكم لاحظ ((الوالدان يفتنان . يجاهدان للشرك . يجاهدان ليشرك العبد ، هذه أليست فتنة ؟ فتنة عظيمة .و قد ذكر المفسرون انها نزلت في قصة سعد ابن أبي وقاص لما أرادته أمه على الكفر والشرك . ومع ذلك قال الله جل وعلا . أن يصاحب والديه حسناً . لكن لا يطيع . قال ((وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم . فأنبئكم بما كنتم تعلمون)) وقال في أولها ((ووصينا الإنسان بوالديه حسناً)) هذه فتنة عظيمة فما المخرج منها ؟ المخرج

منها في تحقيق شرع الله أن لا تطيع في الكفر والشرك أو في معصية الله . لكن تصاحب بالحسنى ومن الناس من تعرض عليه الفتنة . فيصاحب والديه لا بالحسنى ولكن بالعقوق . ويكون قد وقع في بعضها. لكن من يصبر على هذا الأمر العظيم . وهو أن يصاحب بالحسنى وأن لا يطيع هذا هو النجاة في الفتنة في هذه الحال .

من أنواع الفتن : أن يكون أناس كثير يكفرون بالله جل وعلا . لا يؤمنون . فيأتي المرء فيظن أنه وأهل الإيمان قليل . أن الكفار أو المنافقين أو المجرمين أو العصاة أنهم كثير . كيف هو يستقيم كيف يثبت ؟ هذا نوع من الفتنة . يعرض على القلوب . وقل من الناس من يثبت . ينظر الناس كلهم كذا . وفي هذه السورة الخبر وفيها العلاج . فاقرأو وتأملوا . من الفتن أيضاً التي ذكرت في هذه السورة : أن الإنسان ينظر إلى طول مكث أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى طول مكثهم في الأرض إلى طول مكثهم يتمتعون بالقوة . إلى طول مكثهم وهم الذين يسيطرون من أعداء الله الكفار والمشركين . فربما يحمله ذلك على أن تزين له الدنيا . وأن يصد عن سبيل الله . ((زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)) هذه في سورة البقرة في هذه السورة في سورة العنكبوت ذكر الله جل وعلا أولاً قصة نوح عليه السلام . في آيتين . ما مناسبة هاتين الآيتين لموضوع السورة وهو الفتنة . قال جل وعلا ((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون . فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين . وإبراهيم إذا قال لقومه ((قصة نوح في آيتين ما مناسبتها ؟

طول هذا المكث تسعمائة وخمسين سنة وهو يدعوهم . والمؤمن قليل كما أنت تعلم في سورة أخرى ((وما آمن معه إلا قليل)) قال بعض العلماء كان المؤمنون ثلاثة عشر نفساً . وقال ، آخرون كانوا بضعة وسبعين من الرجال والنساء . مكث ألف سنة والشرك بالله جل وعلا يعلو . عبادة الأوثان . ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ونشرك بالله . وهذا ينصحهم ويدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ولا مستجيب إلا هذه الفئة القلية . ألا يحصل للقلوب فتنة ؟ يحصل فتنة . ليست مرور عشر عشرين سنة خمسين سنة مائة سنة . مرة مائتين ثلاثمائة أربعمائة خمسمائة . ألف سنة إلا خمسين عاماً . وثم جاء فرج الله جل وعلا . إذا فقد يفتتن المرء بطول مكث الأعداء فهذه السورة نبهت المؤمن الصادق . ((فليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين)) وقال في الآية التي قبلها ((آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ((متى يعلم)) ؟

إذا عرضت الفتن فنجا . فإذا موضوع السورة عندنا الفتنة حتى قصة النبي كان مرجعها إلى الفتنة بما ينجيك أنت من الفتنة التي تطاولت . بعض الناس يظن أن أمر الله جل وعلا يحصل له كما يريد . لا حكمت الله ماضيه . الله جل وعلا يبتلي كما ابتلى نوح عليه السلام وقومه بأنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما . ومع ذلك لم يستجيب منهم إلا القليل . هذا نوع من الافتتان المخرج منه في هذه السورة وهو الصبر ((فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين))

قصة إبراهيم عليه السلام في نوع من الفتنة . فيمن يجادل فيمن يحاور . فيمن يذكر . لا يستسلمون وإنما يكيدون . ويتخذون أشياء للمودة وللدنيا . ((وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض – الآية إذا فيه محاولات إلى آخره . وهذا يحصل فيها نوع إفتتان . قل من يصبر على الحق . ويمكث عليه وأن لا يتأثر بهذه الفتنة في الشبه التي يلقيها المشركون أو التي يلقيها الكفار . وهذه الشبه تتجدد يتحدد الأزمان بعدها ذكر الله جل وعلا قصة لوط عليه السلام . وفيها الافتتان بالشهوة الإفتتان بشهوة الرجال التي هي مناقصة للفطرة . وايضاً شهوة بأنواعها والإعلان بها وأنه لا ضرر منها ومن نهى عنها إنما هو الذي يهجن وهو الذي يرد عليه نهاهم ((وتأتون في ناديكم المنكر)) ولكن قالوا له ((ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين)) فتنة بأن زوجة لوط التي هي في بيته . كانت ممن وقعوا في شراك أولئك فتدل الرجال على الرجال الذين يأتون لوطاً أو نحو ذلك ((فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين)) هذا نوع من الفتنة بالشهوة الشهوة ما المخرج منها ؟ المخرج منها بأن يعلم الإنسان أنها فتنة الشهوة اللي في جسم الإنسان . أرادها الله جل وعلا لبقاء النسل ولأن يختبر العبد هل يصبر . هل يتحمل ويسير على ما أراد الله جل وعلا . أم يتبع نفسه هواها . ويطلق الحبل على ما يريد . فصارت الفتنة . فأوقع الله جل وعلا العقوبة بمن لم ينتهوا عن نهيه جل جلاله .

من الفتنة أيضاً أن يكون الناس في علم . وأن يكون المجتمع يعلم . ولكنه لا يأبه بالعلم . الجاهل يعلم . لكن من يعلم أو من ينتشر . المجتمع الذي ينتشر فيه العلم . ويعلم الناس الحدود ويستبصرون ولكن مع ذلك يخالفون أليست

هي فتنة . العلم لم يكن إذا في حقهم نعمة بل كان فتنة . ولهذا ذكر الله جل وعلا أن عاداً وثموداً كانوا علماء علموا وكانوا مستبصرين لكنهم مع ذلك خالفوا فقال سبحانه ((وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)) زين لهم الشيطان أعمالهم وصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين هل كانوا يجهلون ؟ لا كان العلم قاصراً ؟ لا يعلمون ولكن زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل . والحالة أنهم كانوا مستبصرين على بصيرة . وهذه فتنة عظيمة أن يكون المرء على علم فيطع الشيطان . ويترك العلم الموروث عن الرب جل وعلا . وعن نبيه صلى الله عليه وسلم .

القوة أيضاً فتنة . المجادلة والحوار . الآن يطرح في كثير من الأحيان . مباحث الحوار، الحوار مع النصارى . الحوار بين الحضارات . الحوار بين الديانات . الحوار بين المذاهب . الحوار بين الملل إلى آخره . وهذا الحوار نوع من أنواع الفتنة والآن تبثه بعض القنوات الفضائية . لأن فيه تأثيراً على من قلبه ضعيف يرى ملل ونحل . وهذا يعبد كذا . وهذا يعبد كذا قد يشك ويفتتن لكن المؤمن الصادق يعلم أن هذا التنوع وهذا التعدد وهذا الاختلاف إنما هو دليل من أدلة أن الحق واحد . وأن هؤلاء كما قال جلا وعلا ((عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية)) أرادوا الطريق إلى الله جل وعلا فأخطؤوه . لكن موضوع الحوار يحاور المرء أولا يحاور يجادل أم لا ؟ يجادل . هذه قد تعرض على المرء هذه الفتنة ولكن من الذي يجادل ؟ من عنده علم . وليس كل أحد ... لهذا ذكر كما يعلم بعضكم أن أناسا جادلوا .. إما جادلوا ملحدا . أو جادلوا غير مسلم . أو نصراني أو يهودي . أو جادلوا صاحب ملة من الملل . أو مذهب

من المذاهب الضالة . أو نحو ذلك . فربما غلبوا أو ربما كانوا أقوى فوقع الافتتان في الناس . الله جل وعلا في هذه السورة بين أن الفتنة تقع إذا لم يكن الحوار من عالم . وبالتي هي أحسن . فقال جل وعلا ، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم . وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ... إلى أن قال جل وعلا ((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)) نستمع للآذان ...

نكمل الحديث في مثال سورة العنكبوت في أثر فهم المقصد أو موضوع السورة على العلم بالتفسير .

فذكر جل وعلا النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن لكن لمن ؟ ممن هو عالم بالقرآن . ((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم)) ولهذا من لم يعلم القرآن وحجج القرآن وبيان القرآن والبراهين التي في القرآن وكيف جاء في القرآن من الحوار مع الملحد من الحوار ومع المتجبر و مع الطاغوت . ومع الناس بجميع أصنافهم من لم يعلم ذلك فإنه لا يصلح للحوار . فليس كل أحد يحاور برأيه وفكره . وإنما الحوار للعلماء . الحوار كما يسمى أو المجادلة كما في القرآن . هذه إنما هي لأهل العلم الذين يعلمون حدود ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا تقع الفتنة . الفتنة بالمجادلة . يقول : جادلني . ليش أنت ما تجادلني ؟ ويبدؤون يبحثون في الجدال والحوار ويبحثون القضايا هذا نوع إفتتان للعامة . فإذاً لا بد هنا أن ينظر المرء في هذه الحال . أن يكون معتزاً بدينه . وأن يعلم أن القرآن هو الحق . وأنه من كان في صدره فهو الذي على الحق . لأن القرآن حجة ماضية على الجميع لهذا قد

يكون المرء لا يعلم بعض الحجج . فإذا كان كذلك . فإنه يقول كما قال الله جل وعلا ((وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنا وإلاهكم واحد . ونحن له مسلمون)) وهذا المجادلة الإجمالية ثم التفصيل عند من يعلم القرآن ويعلم الشريعة . من الفتن التي ذكرت أيضاً في هذه السورة . أن يجعل الله جل وعلا الحياة جميلة بلهوها ولعبها وما فيها من الملذات حتى ينسى المرء الآخرة . قال جل وعلا في آخر السورة ((وما هذه الحياة الدنيا إلى لهو ولعب)) لأن كثيرين من الناس افتتنوا بالحياة . لهو ولعب ويظن أنها ستمتد به ولا يعلم حقيقة الحياة . قال جل وعلا بعدها)) وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)) الحيوان هذا . صيغة مبالغة من الحياة يعني الدار الآخرة . يعني الجنة والنار . هي ذات الحياة الباقية الكاملة فمن أراد قمة النعيم وكمال النعيم والتلذذ فهو في الجنة في الآخرة ومن أراد الهرب من المؤذيات فالمؤذيات كلها في النار والذي يريد الهرب أن يهرب من النار . ولهذا قال طائفة من العلماء :

ما ذكر الله جل وعلا في القرآن . هذه ذكرها ابن الجوزي وجماعة . ما ذكر الله جل وعلا في القرآن . من أنواع نعيم الدنيا لتنظر إلى نعيم الدنيا ولتتذكر به نعيم الآخرة . فكل مثال في الدنيا للنعيم أو للتلذذ هو حجة عليك في تذكرك نعيم الجنة . وكل مثال في الدنيا لأنواع ، المؤذيات ولو كانت حشرة صغيرة أو كان حراً يسيراً فهو مثالاً يذكرك الله جل وعلا به لما يكون في الآخرة من النكال ومن العذاب ومن الحرمان . فمن أراد حقيقة الحياة والسعادة . فليبحث عن السعادة الأبدية . والحياة الدنيا هذه باللهو واللعب . ((وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب)) تحدث فتنة . ما الناس الآن . ما أفتتن

الناس إلا باللهو واللعب . في هذه الحياة الدنيا . لماذا قست القلوب ؟ لأجل أن الناس أقبلوا على اللهو واللعب لماذا أعرضوا عن الآخرة؟ لأهم أقبلوا على اللهو واللعب . لماذا قل نصيبهم من القرآن . لأهم أقبلوا على اللهو واللعب . والجاد العاقل هو الذي ينظر إلى قوله ((وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)) من الفتن التي ذكرت في هذه السورة وذكر فيها المخرج من الفتنة، الفتنة بالأمن أمن الحرام أمن ما حوله . يحصل الأمن سنوات وسنوات و سنوات . فيغتر الناس بأننا لن يصيبنا ما أصاب غيرنا . الزلازل تصيب الآخرين . أما أهل الحرم فلا تصيبهم . الموبقات ضيق المعيشة . النكد يصيب الآخرين أما أهل الحرم فيقولون . نحن أبناء الله وأحبائه . أو يقولون نحن الخاصة أو يقولون أو يقولون . قال جل وعلا في بيان هذه الفتنة ((أو لم يروا أنا جعلنا)) في آخر السورة ((أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)) هذا لفت النظر . إلى هذا النوع من الأنعام من الله جل وعلا . وأن لا يكون هذا الإنعام . افتتان سبب أن لا يكون هذا الإنعام سبب للافتتان بهذه النعمة وهذا الرخاء الذي جعل الله جل وعلا أهل مكة فيه زمن النبوة وما شاء الله من الأزمان بعده قال ((أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ما الغرض من هذا ؟ ((أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أفا بالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أفا بالباطل يؤمنون بعد هذا الإنعام يؤمون بالباطل وبالشرك. والكفر وإنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإطاعة الشياطين أو بما هو دون ذلك من المعاصي والموبقات والآثام ((وبنعمة الله هم يكفرون)) من الذي أنعم ؟ الله جل وعلا .

((وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا أمسكم الضر فإليه تجأرون)) إذاً من الإفتتان الذي قد يصيب الله به بعض العباد كما ذكر في هذه السورة ان يظن العبد أن البلاء انما هو للآخرين .اما هو لن يبتلي نقص الرزق يكون لفلان من الناس اما هو لا .المرض يكون لفلان اما هو لا .الإصابة بالأمراض الشديدة أجارنا الله وإياكم منها.إنما يصاب به الآخرون .أما هو صاحب صحة وعافية .السكتة الغضب إلي آخره .يصاب به الآخرون أما هو لا يتذكر قال جل وعلا في بيان هذا المثال ((أولم يرو ا إنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون))هذه أمثلة من أنواع الافتتان وأنواع البلاء .وما في هذه السورة مما يتصل بهذا الموضوع .ثم يتعانق في هذه السورة .الابتداء مع الختام . ليدلك علي قول من قال من أهل العلم .إن موضوع السورة يتعانق فيه البداية مع النهاية . فقال جل وعلا في بدايتها ((احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم .)) ما المخرج في جميع هذه الحالات . الجواب في آخر السورة في آخر آية ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)) موضوع مقاصد السور وأثر ذلك في التفسير . له شعب في من جهة التنظير . وله أيضا شعب من جهة التطبيق . وإذا تأملت ما ذكرت من هذين المثالين في سورة الفاتحة وسورة العنكبوت يكون لك به نظرة ورؤية إلى ما يذكره العلماء في موضوعات السور وما تشتمل عليه ففهم إذا كما اتضح لك الآن أن فهم آيات سورة العنكبوت الآن تقرأها . ربما يكون لك تدبر آخر .يكون تأثرك بالسور وبالنظر فيها آخر .تشوف الآيات غير ما كنت تقرا سابقا . لماذا؟ لأنه اتصل عندك الموضوع وفهمت هذه الآية . ولماذا أتى بقصة النبي فلان ولماذا

أتى بقصة النبي الآخر عليهم جميعا السلام إلى آخر ما هنالك فإذاً هذا الموضوع وهو موضوع مقاصد السور من العلم النادر العزيز لكنه مهم لكل طالب علم التفسير . لمن بقدر ما ذكرنا وهو أن ينص أحد من العلماء على المقصد والموضوع وأن يكون ظاهراً في دور آيات السورة عليه . اسأل الله جل وعلا أن يبارك لي ولكم فيما سمعنا . وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته وأن يزيدنا منه علماً وأن يذكرنا منه ما نسينا وأن يجعلنا من المحلين لحلاله المحرمين لحرامه ، المعتقدين لما فيه من الغيب . إنه سبحانه جواد كريم كما أني في الختام أرجو لكم جميعاً . في إقبال هذه الدروس العلمية أن تنتفعوا من أصحاب الفضيلة المشايخ الذين يشاركون فيها جزاهم الله خيراً . وأنا بهذه المناسبة أشكر كل الأخوة في هذا المسجد من أمام المسجد . الأخ خالد الرزيقي . وجميع الإخوة الذين معه . وكذلك أصحاب الفضيلة الإخوة المشايخ الذين يشاركون في هذه الدورة على ما يتعبون ويبذلون وفي الجلوس للأخوان وفي طلب العلم . لأننا في زمن نحتاج فيه في بذل الدعوة وبذل العلم إلى جهاد . أما الراحة فهي الوقت واسع للراحة لكن نحتاج إلى بذل وبذل . كل في مجاله وكل فيما يستطيعه . أسأل الله جل وعلا للجميع الهدى والتوفيق . وأن يبارك في الجهود . وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى . إنه سبحانه ولي ذلك كما أسأل ربي سبحانه أن يوفق ولاة أمورنا لكل خير . وأن يرزقهم البطانة الصالحة التي تذكرهم بالخير وتدلهم عليه وأن يبارك فيما يعلمون من الخير . وأن يجعلهم هداة مهتدين غير ضالين . ولا مضلين ، كما أسأله جل جلاله. أن يباعد بيننا وبين سبل المضلين . وأن يرد كيدهم إلى

نحورهم . إنه سبحانه على كل شيء قدير . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

....

س_ فضيلة الشيخ ما الأفضل للمبتدئ قراءته من الكتب التي تناولت التفسير ثم يسأل يقول : قلتم في كلامكم أنه قد يستخرج المعنى بالاستقراء الجزئي للسورة . فكيف يستخرج المعنى للسورة مع عدم الإلمام بالسورة ...

أنا ما قلت هذا . أنا لم اقل إن المعنى أو المخرج يستخرج بالاستقراء الجزئي وإنما قلت يستخرج بالاستقراء التام أو الأغلبي . أما الاستقراء الجزئي فليس بحجة والاستقراء الجزئي هو اللي يقع فيه الناس اليوم وليس جزئياً . قد يكون استقراء لحالتين ثم يحكم . والله يقول كل الناس كذا كذا . أو هذا أبد كل الموضوع كم نظرت في الكتاب نظر صفحتين .كم درست من حالات الناس . شاف له حالة حالتين . وقال كل الناس وقعوا في كذا . الاستقراء حجة إذا كان كلياً أو أغلبياً ولا يجوز للمسلم أيضاً أن يقفوا ما ليس له به علم . وأن يقول والله يعمل قضية كلية . وهو لا يعرف إلا حالة أو حالتين ، وهذا خلاف المنهجية الصحيحة في التفكير وإذا وجدت في المرء هذه الخلل في المنهجية حتى في رؤية الأشياء .يقع في بذلك الخلل في منهجية في العلم . يكون تصوره للعلم غير صحيح لأنه أصلاً يتصور العلوم يتصور الأشياء باستقراء جزئي ويسرع في الحكم ويسرع في تقييم الأشياء بما يسمع أو بحالة حالتين ويجعلها قضية كلية . إذا تعقيبا على السؤال .. إنما ذكرنا أنه يدرك بالاستقراء الكلي أو الأغلبي والعلماء الأصول بحثوا هذا فقالوا : أن الاستقراء الكلي أو

الأغلبي حجة و الاستقراء الكلي والأغلبي ممن ليس من كل مسلم . بل من عالم بالتفسير . والعالم بالتفسير هو الذي عنده العلوم التي ذكرنا . هذا في الغالب لا يخطئ . ولهذا العلماء ذكروا أشياء من مقاصد السور . داروا فيها حول استقرائهم وتدبرهم وقراءهم للسورة أكثر من مرة مع علمهم بالتفسير . فاستخرجوا مقصداً وموضوعاً ثم فصلوا في ذلك .

س: يقول : لماذا لا نقول بترجيح قول من قال بأن لكل سورة مقصداَ وأن بين كل آية وآية تناسباً على الإطلاق لأن ذلك يدل على كمال القرن وإعجازه . ولكن نقيد هذا القول بنقطتين : الأولى : إنه ليس لكل أحد أن يلم بجميع المقاصد والمناسبات فقد يعلم بعضا ويجهل بعضاً .

والثانية نقيده كذلك بعدم الجزم بالمقصد . والمناسبة بل يقال : بأنه اجتهاد وأنه محتمل فما رأي فضيلتكم .

هذا وجيه . لكن السبب الثاني . لا نحب أن يدخل الناس فيه . لأنه من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ ولو أصاب وفي الحديث الآخر ((من قال في القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار)) و أبو بكر رضي الله عنه يقول : أي أسماء تظلني واي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

فإذاً الأصل في هذه كما ذكرت لك أن لا يكون إجتهاداً مجرداً . وإنما يكون استقراء كلي أو أغلبي . أما مجرد الاجتهاد ظهر له بادر الرأي أو عاجل الرأي وقال إن هذه السورة موضوعها كذا . هذا فيه تجني على القرآن . ولهذا قد يقال أنه يقال من جهة تنـــزيل القرآن . أن القرآن محكم . كل سورة لها مقصد . علمه من علمه . وجهلها من جهلها وأن الآية بينها وبين ما قبلها . وبعدها تناسق وتناسب علم ذلك من علمه وجهله من جهله . وأن في ذلك

دلالة على إعجاز القرآن العظيم . هذا قد يقال من جهة العموم . لكن بالقيد الذي ذكرنا ، أنه لا يقبل من كل أحد أن يقتحم هذا الباب .

س_ يقول هل هناك علاقة بين التفسير الموضوعي للقرآن وبين علم مقاصد السور ؟

التفسير عند المتأخرين يعني في القرن الأخير هذا جعل منه التفسير الموضوعي . ومنه التفسير التحليلي . هذا تقسيم خاص تعليمي . ويراد بالتفسير التحليلي . كما تقرأ في تفسير بن كثير وتفسير بن جرير . يعني الآية وتفسيرها . والكلمات وتحليلها لغة ونحواً إلى آخره . وبيان سبب النزول . يعني كل آية تؤخذ على حدة . وتفسير السورة تفسيراً تحليليا . أما التفسير الموضوعي فيراد به موضوع في القرآن . يعني مثلاً . توحيد الربوبية في القرآن . القرآن فيه هذا الموضوع . توحيد الربوبية . الفتنة في القرآن . الوسطية في القرآن . العدل في القرآن . الظلم في القرآن . قصص الأنبياء في القرآن . هذا يسمى تفسير موضوعي . بمعنى أن يأتي إلى موضوع . فيجمع كل ما فيه من الآيات . ثم يقسم ذلك تقسيماً منهجياً ، ويتحدث عنه . لا صلة لهذا بعلم المقاصد لأن مقاصد السور راجع إلى السورة في نفسها . والتفسير الموضوعي يجمع أطراف الموضوع في جميع سور القرآن .

س: يقول : هل القرآن نزل وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً . وبم نرد على النصارى في قولهم إن الرسول لم يفسره كله . والجمع بينه وبين . حديث الرسول (، تركتكم على المحجة البيضاء . ينبغي أن القاتل متكلم . أو الكاتب أو السائل ، إذا كتب اسم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً حتى لو لم يكتب فإنه يصلي عليه .

والمرء ما يخسر كتابت صلى الله عليه وسلم ولو ألف مرة . لهذا أهل الحديث مما زاد في في مقدارهم أنهم يكتبون في الحديث الواحد صلى الله عليه وسلم يقولونها كذا مرة . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشراً ((ما معنى ذلك . يعني من أثنى علي يعني من قال اللهم صلي على محمد . دعا لي أن يثني علي في الملأ الأعلى مرة واحدة . صلى الله عليه بها عشراً . أثنى الله عليه بتلك الصلاة عشر مرات . اللهم صلى وسلم على محمد كلما صلى عليه المصلون وكلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون . واش السؤال ؟

س: هل نزل القرآن وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم كاملاً ؟..

النبي صلى الله عليه وسلم . لم يفسر القرآن كله . وإنما فسر آي قليلة لم ؟ لأن التفسير يتبع الحاجة . يفسر بمعنى يبين المعاني . لمن لا يفهم المعاني . والقرآن نزل بلسان عربي مبين فقهته العرب فهمت الآي وفهمه الصحابة إلا في بعض الآيات لم تفهم ففسرها النبي صلى الله عليه وسلم . فالمنقول من تفسيره عليه الصلاة والسلام قليل . تفسير الصحابة اكثر من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم . لم ؟ لأن الصحابة نقلوا للتابعين . والتابعون أقل علماً بالقرآن من الصحابة . لا من جهة اللغة . ولا من جهة معرفة أسباب الترول . ولا جهة معرفة علوم القرآن . والعلوم المختلفة التي دار عليها القرآن . لا من جهة السيرة والتاريخ وأحوال العرب والجاهلية إلى آخره ففسروا القرآن أكثر التابعون لمن بعدهم . تفسيرهم ، أكثر التابعون تفسيرهم لمن بعدهم أكثر من تفسير الصحابة لشدة الحاجة . هكذا إلى زمن التأليف والتصنيف وكثرة التفاسير رغبة في أن يفهم الناس القرآن وأن يقبلوا عليه . فإذا عدم

تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن . لوضوحه وعدم الحاجة إلى تفسيره ولأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعلمون التفسير وربما لم يعلموا ففسر بعضهم لبعض . أو فسر لهم النبي عليه الصلاة والسلام .

س: فضيلة الشيخ نأمل إرشادنا إلى أحسن الكتب التي تناولت الحديث عن مقاصد السور.

ذكرت لك الكتب .

س: أرجو إلقاء الضوء على مسألة تفسير الآيات بالكشوفات الكونية الحديثة وعلامة ذلك بمقصود الآيات وفهم خطابهم ؟

هذه لو لم ترجو كان أفضل ما يحتاج لو تكلمنا عنه في دقيقة أو دقيقتين نظلم هذا الموضوع وهو موضوع شائك كما تعلمون الآن كثير من الناس يعرضون المسائل الكونية ويربطونها مع الآيات القرآنية ويجعلون القرآن كتاب فلك كتاب زراعة كتاب رياضيات كتاب ... وهذا ليس بصحيح ولهذا أنا كما رجا السائل جزاه الله خيراً كثيراً أنا أيضاً أرجوه أن يؤجل هذا يعني جواب هذا السؤال إلى موضوع محاضرة مستقل عن تفسير القرآن بالعلوم الكونية أو بالطبيعيات أو بالمكتشفات الحديثة لأنه يحتاج إلى بسط وتفصيل .

س : ذكرتم أن طالب العلم لا بد له من تعلم التفسير وأن هذا التحصيل مرهوناً بفهم اللغة ومنها النحو وللأسف فإن غالبية الناس في الوقت الحاضر يعانون من ضعفٍ في النحو فيا حبذا لو نصحتمونا بكتاب في هذا المجال خاص بالمبتدئين في مجال النحو .

المهم إنك تقبل على طالب علم على أستاذ في النحو يعلمك تكون جاء النحو سهل لكن أنتم يصعب على غير المقبل لكن هو في الحقيقة سهل إذ لو أقبلت

عليه لكان سهلاً ، كتب النحو كثيرة دائماً نذكر من أولها الأجرومية وقطر الندى وشرح ومنظومة الحريري الملحة والألفية وشروح الألفية لم يتطور بعد ذلك إلى التسهيل وشروح التسهيل ثم يتطور بعد ذلك إلى التسهيل وشروح التسهيل ثم يتطور إلى هم الهوامع ثم كتاب سيباويه يعني أن يبتدأ في النحو بالكتب المختصرة عند المتأخرين ثم إذا أتمها يرجع إلى كتب المتقدمين وهذه مجالات ومدارج بعضها فوق بعض وكما قال الله جل وعلا ((هم درجات عند الله))) نكتفي بهذا القدر وأسأل الله جل وعلا أن يكتب لي ولكم الخير أينما كنا وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ..

إنه سبحانه على كل شيء قدير ..

وصلي اللهم علةى نبينا محمد ..

س: ما هو السبب في اختلاف مفسري القرآن الكريم وبماذا تنصحنا في هذا المجال ؟

الاختلاف في التفسير موجود لكنه ينقسم إلى قسمين :

١- اختلاف في تنوع ٢- إختلاف تضاد

أما اختلاف التنوع . فإن يكون الاختلاف راجعاً إلى شيء واحد لكن نظر كل مفسر إلى جهة من جهات المعنى واللفظ أو إلى فرد من أفراد اللفظ في ما يكون عاماً . أو إلى أحد معنيي المشترك . فيما يكون مشتركاً . فيما هو معلوم في موضعه من علم أصول التفسير . مثلاً في قوله جل وعلا ((أهدنا الصراط المستقيم)) الصراط المستقيم أيش ؟ قال بعضهم القرآن . قال بعضهم الإسلام . قال بعضهم السنة قا ل بعضهم الصراط المستقيم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم . هذه كلها مؤداها واحد . صحيح الألفاظ

مختلفة لكن من هدي على الإسلام الصحيح هدي إلى القرآن . ومن هدي إلى القرآن فقد هدي إلى السنة . ومن هدي إلى السنة الصحيحة على فهم السلف الصالح فقد هدي إلى الإسلام الصحيح وإلى القرآن . ومن هدي إلى إلى صراط الصحابة . فقد هدي إلى صراط القرآن ... إلى آخره .

كذلك في قوله ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تعرفوا ((كذلك في قوله ((والليل إذا عسعس)) هذا نوع ثاني في المشترك ((والليل إذا عسعس)) عسعس ما تعني ؟ قال بعضهم عسعس يعني أقبل . قال بعضهم عسعس يعني أدبر . وهذا الاختلاق قد يظهر أنه متضاد واحد في الإقبال وواحد في الإدبار . لكنه في الحقيقة واحد من جهة أن بيان قدرة الله جل وعلا وعظيم صنعه يحصل في إقبال الليل وفي إدباره (والليل إذا عسعس)) يعني لك قدرة من آيات الله جل وعلا . وكذلك إذا أدبر . مع أنه في بعض التفاسير نوعاً المختلفة نوعاً في بعضها ما يرجح على بعض الأدلة .

النوع الثاني : تفسير التضاد . التفسير الذي فيه الخلاف خلاف تضاد . يعني هذا شيء . وهذا شيء مختلف عنه تماماً . والتفسير بالتنوع هو اختلف فيه الصحابة رضوان الله عليهم . فلا يصح أن يقال : أن في تفاسير الصحابة الصحيحة شيء من الاختلاف اختلاف التضاد . كما حققه ابن تيميه في رسالته في أصول التفسير . رحمه الله تعالى . أما تفسير التضاد فهو موجود عند المتأخرين . وخاصة لما شاعت النحل . والمذاهب المختلفة العقدية والانحرافات والفرق فإنه تظهر التفاسير التي فيها اختلاف .

واحد يثبت الميزان . يوم القيامة . وآخر يقل الميزان العدل . ((وتضع الموازين القسط ليوم القيامة)٩ يقول الموازين هي جمع ميزان والميزان هو

المعروف الذي داء في السنة مما له كفتان . توزن فيه الأعمال ويوزن فيه الصحف إلى آخره . وآخر يقول الميزان هو العدل . أحد يقول الصراط وهو كذا الصراط أخر يفسره بتفسير ينكر حقيقة الصراط.... .